فرحت الشيخ أن أفجعه فى أحلى ذكرياته ، وأن أطمس فى نفسه أجمل صور حياته فتلطفت فودعته، ولم أقل له شيئاً ، وماذا أقول؟

أأقول له : إن أهل الشام قد انصرفوا عن صدر البار والبزان والصوفاية والشاذروان وأهملوها حتى صارت مزابل ، لأنهم آثروا عليها العباسية والهافانا وشهر زاد ونادى الصفا ؟

وأنهم هجروا منازلهم التى كانت جنات ، ليسكنوا كالإفرنج فى طبقات كأنها سجون أو مغارات ، وأن أبناء العلماء الأتقياء ، صاروا من الفساق الجهلاء ، وأن مدارس العلم هدمت أو سرقت ، وأن غرفها احتلت لتكون مساكن أو قهوات أو مخادع شهوات ، وأن طلبة العلم الدينى يطلبونه للمناصب والمراتب والأموال والرواتب ، وأن الأسر انصدع شملها ، وتفرق جمعها ، وأن النساء ملأن اليوم الطرقات ، وأممن المخازن والسينمات ، وعاشرن الشبان فى المدارس والملهيات ، وأن البنات كسدن فى البيوت ، لما آثر الشباب اللهو على الزواج ، والسفاح على النكاح ، وأن الأحياء غلب عليها سفهاؤها ، وضعف عن حكمها عقلاؤها . وأن الناس اختلفوا وتنازعوا ، وفشا فيهم الغش والخداع ، وأن المحاكم هجرت شرع الله وحكمت بقوانين فرنسا . وأن الناس تركوا أشغالهم واشتغلوا بالسياسة . وأن الزعماء طلبوا المال والجاه ، وآثروا مصالحهم على مصالح الناس . وأن الموظفين غلبت عليهم الرشوات والبراطيل والسرقات ، وأننا تركنا مصنوعات بلادنا وكرهنا أزياءها ، وتعلقنا بأذناب الغربيين ، وأعطيناهم أموالنا . وأنه قد ارتفع الوفاق وحل الشقاق ، وذهب الرخاء وجاء السخط ، فالرجل يختلف أبداً مع زوجته ، والأب ينازعه ابنه ، والشريك يسرقه شريكه ، وليس فينا راض ولا قانع ولا سعيد ، ما فينا إلا شاك بالشر ، كاره الحياة ، متمن الموت ... ثم إننا لم نحس أن هذا كله من لعنة هذه المدنية الغربية ، ومن ثمراتها المرة التى لا يمكن أن تثمر غيرها ...

ولكن لا ، فإن فى دمشق خيراً كثيراً ، لا يعرف خيرها إلا من يعيش فى غيرها ، إن دمشق التى يصفها الشيخ لم تمت ، ولا تزال تتردد ذماؤها ، فإما أن تنعشها (رابطة العلماء) وعدها الإخلاص بالقوة حتى تنقذها ، وإما أن يغلب القضاء ، فيموت المريض تحت يد الطبيب ... ...

ولن تموت دمشق الإسلامية بحول الله أبداً !

على الطنطاوي

خواطر مسجوعة :

فلاح مصر . . .

فلاح مصر أسخى على أهلها ، من نيلها ؛ فالنيل يجود بمائه ، وهو يجود بدمائه ؛ خالعاً شبابه على الغبراء ، ليراها جنة خضراء !

فلاح مصر جندى لا يسفك الدماء ، ولا يهدم البناء ؛ جندى يعمر . . . ولا يدمر ؛ جندى يتفانى . . . ولا يتوانى ؛ جندى متصل العزمات ، فى السلم والأزمات ؛ فكل جهد يتضاءل أمام جهده ، وكل فرد — وإن علا — يعيش من ثمرات كده . . ! معروفه يغمر بلاده ، ونعمته فى كل عنق قلاده . . . !

فلاح مصر هو — وحده — الذى يشبه الناس شكلا ونفسا ، والحديد فعلا وبأسا . وهو — وحده — الراضى بالقليل ، الذى لا يبغى جزاء سوى القوت الضئيل ؛ وإلاَّ فمن سواه ، يُلاقى فى التراب قواه ؟ ومن غيره ، يفيض خيره ، بعد أن يزرع الجهد فى الثرى ، ويسقى بالعرق قبل الماء حقول القرى ؟؟! لو أن للأرض لسانا لأثنت عليه ، وقبلت يديه ؛ ولكنّ الإنسان ، يجحد الإحسان !

فلاح مصر صبور لا يخشى الهجير ، ولا يفر من الزمهرير . يبكر والمترفون فى الغُرَف ، لا يشاركهم الراحة والترف . من شيمه التواضع والإيثار ، فى اليسر والإعسار . فتراه خشنا فى جسمه وعزمته ، فى ثوبه ولقمته ، فى بيته وعيشته لينا فى عطفه الرائع ، وقلبه الطائع ، وحقه الضائع ... !

ليتنى ياسيدى الفلاح الكريم ، أملك ما أقدمه اعترافا بفضلك العظيم ، لم أملك سوى الكلام ، فعليك السلام !

(الزنكلون) **حامد بدر**